امتحان القلوب

امتحان القلوب [1]

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)[2] [سورة آل عمران، الآية: 102]. (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)[3] [سورة النساء،الآية:1]. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)[4] [سورة الأحزاب، الآية: 70].

أما بعد:

فإن الحديث عن القلب وامتحانه وابتلائه حديث بالغ الأهمية في وقت قست فيه القلوب، وضعف فيه الإيمان، واشتغل فيه بالدنيا، وأعرض الناس عن الآخرة.

---

1 - أصل هذه الرسالة محاضرة ألقاها المؤلف فأذن لنا مشكورا بإخراجها.

2 - سورة آل عمران آية: 102.

3 - سورة النساء آية: 1.

4 - سورة الأحزاب آية: 70.

ونحن نرى في هذا العصر تطورا هائلا في جراحة القلب البشـري، حتى كان من آخر ذلك ما نسمع عن زراعـة القلـب ونقلـه مـع الدقـة المتناهية في تحديد الأمراض الحسية التي تنتـاب القلب، وبيان طرق معـالجتهـا وتشخيصها. ولن أتحدث هنـا عـن الأمـراض الحسـية، ومـا ينتاب هذا القلب من أدواء.

لكنني سأتحدث عما يعرض لهذا القلب خلال سيره إلـى اللـه مـن امتحانات وابتلاءات وما علامات صـحته وعلتـه؟ ومـا مـواطن الابتلاء والامتحان لهذا القلب؟

وسوف أركز خلال الحديث عن القلب على الاستشهاد بكلام الله وكلام رسوله، وهذا أمر طبيعي؛ لأن الأصل هو الاستقاء من منبع الكتاب والسنة؛ وإنما نصصت على هذا حتى يعلم أن الحديث عن القلب ليس بالأمر الهين ولا السهل، فلا أحد أعلم بأحوال هذا القلب وما ينتابه من خالقه (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ)[1] [سورة الملك، الآية: 14]. (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى)[2] [سورة طه، الآية: 7]. (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)[3] [سورة غافر، الآية: 19]. ومن أنـزل عليه الوحي (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)[4] [سورة النجم، الآيتان: 3-4].

ولأنبه إلى خطورة دعوى كـثير مـن النـاس معرفـة المقاصـد مـن أعمال القلوب مما لا يعلمه إلا الله -جل وعلا- وانشغلوا بما نهوا عنـه وتكلموا شططا:

(وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)[5] [سورة الإسراء، الآية: 36]. وأنى لنا بمعرفة أسرار القلوب وخواطرها:

---

1 - سورة الملك آية: 14.

2 - سورة طه آية: 7.

3 - سورة غافر آية: 19.

4 - سورة النجم آية: 3-4.

5 - سورة الإسراء آية: 36.

ومكلــف الأشــياء فــوق متطلـب فـي المـاء جـذوة
طباعهـــــــــــــا نـــــــــــــــار

لماذا الحديث عن القلب

يكتسب الحديث عن القلب أهمية خاصة، لعدة أمـور أجملهـا فيمـا يأتي:

أولا: أن الله -سبحانه وتعالى- أمر بتطهير القلب، وتنقيته، وتزكيته، بل جعل الله -سبحانه وتعالى- من غايات الرسالة المحمدية تزكية الناس، وقدمها على تعليمهم الكتاب والحكمة لأهميتها، يقول الله -تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)[1] [سورة الجمعة، الآية: 2]. قال ابن القيم -رحمه الله- في قوله -تعالى-: (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ)[2] [سورة المدثر، الآية: 4]. جمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم على أن المراد بالثياب هنا: القلب [3].

ويقول -سبحانه وتعالى- عن اليهود والمنافقين: (أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[4] [سورة المائدة، الآية: 41].

فهذا سبب بارز ومهم للحديث عن القلب.

ثانيا: أثر هذا القلب في حياة الإنسـان فهـو المـوجه والمخطـط، والأعضاء والجوارح تنفذ.

---

1 - سورة الجمعة آية: 2.

2 - سورة المدثر آية: 4.

3 - رسالة أمراض القلوب ص 52.

4 - سورة المائدة آية: 41.

يقول أبو هريرة رضي الله عنه"القلب ملك، والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث القلب خبثت جنوده". [5].

ثالثا: ومن الأسباب الجوهرية للحديث عن هذا الموضوع غفلة كثير من الناس عن قلوبهم، فتجد -مثلا- بعض طلبة العلم يتوسع في بحث بعض الأعمال الدقيقة، ويتفقه فيها فقها عجيبا: هل تحريك الأصبع سنة؟ ومتى وكيف يحرك؟... إلخ، والبحث فيها نافع ومهم ولا شك، في حين يغفل البحث في أعمال القلب وأحواله، وأدوائه وعلله، وهذا أهمّ وأجلّ.

رابعا: أن كثيرا من المشكلات بين الناس، وبالأخص بين طلبة العلم، سببها أمراض تعتري القلوب، ولا تبنى على حقائق شرعية، فهذه المشكلات تترجم أحوال قلوب أصحابها، وما فيها من أمراض مثل: الحسد، والغل، والكبر، والاحتقار، وسوء الظن... إلخ، وسبيل حلها الأمثل هو علاج هذه القلوب؟ وإلا فالمرض سيظهر بين حين وآخر كلما ظهرت دواعيه.

ونظرة إلى واقع المجتمع، وما يحدث فيه بين الناس من مشكلات اجتماعية، وخصومات في الحقوق والأموال تثبت صحة ذلك.

خامسا: إن سلامة القلب وخلوصه سبب لسعادة الدنيا والآخرة، فسلامة القلب من الغل والحسد والبغضاء وسائر الأدواء سبب للسعادة والطمأنينة في الدنيا والآخرة: (يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)[2] [سورة

---

5 - التحفة العراقية.

2 - سورة الشعراء آية: 88-89.

الشعراء، الآيتان: 88، 89]. وانظر إلى حال أبي بكر وغيره ممن رزق قلبا سليما، خاليا من الضغائن والعلل.

سادسا: يقول الإمام عبد الله بن أبي جمرة. "وددت أنه كان من الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم؛ فما أتي كثير ممن أتي إلا من قبل تضييع ذلك [1].

حيث يبين هذا الإمام أهمية تعليم الناس مقاصدهم في أعمالهم، وتنبيههم على مفسدات الأعمال. فإنه كما أننا نشهد من يتخصص في أنواع العلوم كالحديث والفقه والتفسير والنحو والفرائض وغيرها، فيتقن هذه العلوم، ويبلغها الناس، فنحن بحاجة إلى من يتقن الحديث عن مقامات القلب وأحواله، وأعماله وعلله وأدوائه، فيعلمها الناس ويصحح مقاصدهم ونياتهم.

سابعا: ما أعطي الله لهذا القلب من مكانه في الدنيا والآخرة، وانظر إلى أدلة ذلك من كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-:

1- يقول الله -تعالى- على لسان نبيه إبراهيم (وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)[2] [سورة الشعراء، الآيات: 87-88-89]. فلن ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله بقلب سليم.

2- يقول -جل وعلا-: (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ وَجَاء

1 - محاضرة الشيخ سلمان العودة عن النية. المدخل لابن الحاج (1/ 3).

2 - سورة الشعراء آية: 87-88-89.

بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ)[1] [سورة ق، الآية: 31]. فأين القلب المنيب وما صفته؟

3- وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنهقال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم " إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " [2].

4- وفي الصحيحين من حديث النعمان من بشير رضي الله عنهمرفوعا: " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب " [3].

وكفى بهذا الحديث واعظا وزاجرا، وعبرة لأولي الألباب.

ثامنا: أن أقوال القلب -وهي تصديقاته وإقرارته-، وأعماله وحركاته من: خوف ورجاء ومحبة وتوكل وخشية وغيرها. هي أعظم أركان الإيمان عند أهل السنة والجماعة، وبتخلفها يتخلف الإيمان. وها هم المنافقون يقولون الشهادة بألسنتهم، ويشاركون المسلمن في أعمالهم الظاهرة، ولكنهم بتخلف إقرارهم وتصديقهم كانوا (فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا)[4] [سورة النساء، الآية: 145].

تاسعا: أن كثيرا من الناس جعلوا جل همهم تفسير مقاصد الناس، وتحميل تصرفاتهم ما لا تحتمل، وتجاهل الظاهر، وترتيب الأحكام على تنبؤ عمل القلوب، مما لا يعلمه إلا علام الغيوب،

1 - سورة ق آية: 31.

2 - رواه مسلم (4/1987).

3 - رواه البخاري (1/126 فتح) ومسلم (3/1219).

4 - سورة النساء آية: 145.

والغريب أن هناك من يعتبر هذا الأمر ذكاء وفراسة وفطنة، وليس هو من الفراسة الشرعية في شيء. فنحن مأمـورون أن نؤاخــذ النـاس بظواهرهم ونكـل سرائرهم إلى الله.

وأخيرا: إذا كـانت هـذه مكــانة القلـب وأهميتـه. فهلا وقفنـا مـع أنفسنا لننظر كيف عملنا بقلوبنا، بل ماذا عملت بنا قلوبنا.

كم ننشغل في أشياء كثيرة من أمور دنيانا ومعاشنا ووظائفنا، وإذا بقي لنا شيء من الاهتمام أعطيناه لأعمالنا الظاهرة.

وأما هذا القلب فقليل منا من ينظر إليه، ويعطيـه الاهتمـام اللائـق به، وعسى أن يكون فيما سبق من ذكر أهمية القلب وأثره في حيــاة الإنسان ما يدعونا إلى مراجعة هذا القلب، وإعطـائه المكانـة اللائقـة به.

معنى امتحان القلوب

قلوبنا -أيها الأخوة- ممتحنة صباح مساء، تمتحن في كل لحظة من لحظات حياتنا، فهل نحن منتبهون لهذا، فغلطة واحدة قد تودي بحياة هذا القلب، وتحبط ذلك العمل.

قال -تعالى-: (وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)[1] [سورة آل عمران، الآية: 154].

وقال -سبحانه وتعالى-: (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)[2] [سورة الحجرات، الآية: 3].

فمن هؤلاء الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى؟

---

1 - سورة آل عمران آية: 154.

2 - سورة الحجرات آية: 3.

هذه الآية نـزلت في الصحـابيين الجليلين أبي بكـر الصديق وعمــر بن الخطاب -رضي الله عنهما- عندما رفعا صوتيهما عند رسول اللــه صلى الله عليه وسلم فقد روى البخاري عـن عبـد اللـه بن الزبير رضي الله عنهأنه: " قـدم ركـب مـن تميـم علـى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر: أمِّـر القعقـاع بن معبد ابـن زرارة، فقـال عمـر: بـل أمَّـر الأقـرع بـن حـابس، فقال أبـو بكـر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنـزلت في ذلك: (يا أيها الــذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسـوله...) [الحجـرات: 1]، حـتى انقضت " [1].

نعم! لا مجاملة في هذا الدين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ)[2] ثم ماذا؟ (أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) [3] [سورة الحجرات، الآية: 2].

سبحان الله! موقف في نظر الكثيرين لا يستحق.

من الذي يهدَّد في هذه الآيـة؟ أبـو بكـر الـذي قـال فيـه الرسـول، صلى الله عليه وسلم " لو كنت متخـذا خليلا مـن أمـتي لاتخذت أبا بكر " [4].

وعمر الذي قال فيه الرسول، صلى الله عليه وســلم " والذي نفسي بيده مـا لقيـك الشـيطان قـط سـالكا فجـا (أي طريقا) إلا سلك فجا غير فجك " [5] لكنهما -رضي اللــه عنهمـا-

1 - رواه البخاري (9/147 فتح).

2 - سورة الحجرات آية: 2.

3 - سورة الحجرات آية: 2.

4 - رواه البخاري (1/558 فتح) ومسلم (4/1856).

5 - أخرجه البخاري (6/339 فتح) ومسلم (4/1863).

تابـا، وأنابـا، واسـتغفرا، وأقسـم أحـدهمـا ألا يكلِّـم الرسـول، صلى الله عليه وسلم إلا سرا كأخي السرار.

هنا خرجت النتيجة: (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)[1] [سورة الحجرات، الآية: 3]. أي أخلص قلوبهم للتقوى، حتى أصبحت لا تصلح إلا له. [2].

موقف واحـد يسـير فـي نظرنـا لرجليـن همـا أفضـل أمـة محمـد، صلى الله عليه وسلم وامتحان يسير لغفلةٍ بدرت منهما.

ولكن! ماذا نقول عن أحوالنا؟

كم من امتحان رسبنا فيه ونحن لا نشعر.

وهنا سرّ بديع في هذه الآية: (وَأَنْتُمْ لا تَشْـعُرُونَ)[3]؛ لأنـه قـد يحبط عمـل الإنسـان وهـو لا يشـعر، فهـو لا يتصـور أن يحبـط عمله بذلك العمل، أو لا يلقي لعمله بالا.

وكم من عملٍ أو كلمةٍ أودت بصاحبها وهو لا يشعر.

وإذا كان رفع الصوت عند رسول الله، صلى الله عليـه وسلم كاد أن يحبط عمل أبي بكر وعمر -رضي الله عنهمـا-، فما سيكون حـال من يرفـع صـوته فـوق صـوت الحـق؟ أولئـك الذين يقدمون شريعة الطاغوت على شريعة الله، أولئك الـذين يعادون ويوالون في سبيل الشيطان.

وحتى نـزيد في إيضاح معنـى (امتحـان القلـوب) لنتأمـل هـذا الحديث العظيـم الـذي رواه حذيفـة بـن اليمـان رضي الله عنهعن النبي، صلى الله عليه وسلم أنه قـال: " تعـرض

1 - سورة الحجرات آية: 3.

2 - قال الألوسي في تفسير الآية: والمراد أخلصها للتقوى، أي جعلها خالصة لأجل التقوى، أو أخلصها لها فلم يبق لغير التقوى فيها حق، كأن القلوب خلصت ملكا للتقوى، انظر روح المعاني تفسير سورة الحجرات.

3 - سورة الحجرات آية: 2.

الفتن على القلوب عرض الحصير عودا عودا [1] فأيُّ قلب أشربها [2] نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها [3] نكت فيه نكتة بيضاء، حتي تصيرعلى قلبين: على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مُرْبَادّا [4] كالكوز مُجَخيِّا [5] لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا، إلا ما أشرب من هواه " [6].

جعل الله قلوبنا بيضاء، وطهرها من المعاصي والرذائل والشبهات. ففي الحديث التعبير بالفعل المضارع (تعرض)، وهو هنا يدل على استمرار البلاء والامتحان: كما أن هذه الفتن لا تأتي دفعة واحدة، وإنما شيئا فشيئا حتى يصبح القلب أسود -والعياذ بالله- أو يسلمه الله فينجح في الامتحان فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فالنفس تدعو إلى الطغيان، وإيثار الحياة الدنيا. والرب -جل وعلا- يدعو عبده إلى خوفه، ونهي النفس عن الهوى، والقلب بين الداعيين [7] وهذا هو موضع الفتنة والابتلاء.

ملحوظة:

وها هنا ملحوظة مهمة، وهي أن بعض المشتغلين بالدعوة وطلب العلم يظنون أن غاية الابتلاء والامتحان هو الأذى

1 - عودا عودا أي: تعاد وتتكرر شيئا بعد شيء.

2 - أشربها أي: دخلت فيه ولزمته.

3 - أنكرها أي: ردها.

4 - مربادًا أي: شديد السواد في بياض.

5 - مجخيا أي: كالكأس المنكوس، لا يعلق به خيرا وحكمة.

6 - رواه مسلم (1/128-129).

7 - انظر رسالة مرض القلب وصحته.

الجسدي: من سجن وتعذيب وأسر وقتل، وغيرها، أو أذىً معنوي من: مقاطعة الناس له، أو عدم استجابة، أو سخرية واستهزاء به، وغيرها، وهذا قصر لمفهوم الابتلاء على بعض أنواعه، وإلا فإن أشد أنواع الابتلاء هو ابتلاء هذا القلب وامتحانه، وكم رأينا ممن نجح في امتحان الأذى. والتعذيب، لكنهم أخفقوا في امتحان القلب! ولذلك كان من دعاء الراسخين في العلم: (رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)[1] [سورة آل عمران، الآية: 8].

ونختم هذه المقدمة في معنى امتحان القلب وابتلائه بهذه الدعوة الربانية للمؤمنين متضمنة تحذيرا مخيفا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)[2] [سورة الأنفال، الآية: 24].

نسأل الله - سبحانه وتعالى- أن يوفقنا ويعيننا على الاستجابة لله وللرسول، وأن يحي قلوبنا، وألا يحال بيننا وبين قلوبنا بمعاصينا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

1 - سورة آل عمران آية: 8.

2 - سورة الأنفال آية: 24.

أنواع مما يطرأ على القلب من العلل والأدواء

وهذه المضغة الصغيرة (القلب) أمرها عجيب، وما شبه هذا القلب إلا بالبحر، نراه في الظاهر رؤية سطحية، لكنه في الحقيقة عالم بحد ذاته، ففيه من أنواع الحيوانات والنباتات العجيبة ما حير علماء البحار.

وهكذا القلب، فإن من تأمله حق التأمل وجد أن أمره مثير للعجب بما يحصل له من أحوال وانفعالات، وبما يتباين فيه الناس من أحوال ومقامات وصفات، وهذا غيض من فيض في عالم هذا القلب الصغير الكبير.

وهذه إشارات قرآنية لبعض ما يطرأ على القلب من علل وأدواء، فمن ذلك: الغفلة، العمى، الزيغ، التقلب، الاشمئزاز، الإقفال، القسوة، اللهو، الرياء، النفاق، الحسد.. وهلم جرّا.

سبحان الله! كل هذا على القلب؟ نعم، وأعظم من ذلك بكثير.

والنتيجة: أن يتعرض هذا القلب للطبع والختم والموت بعد نزول هذه الأمراض، وعدم مدافعة الإنسان لها، فيكون قلبه أسود.

أنواع من أحوال القلب السليم وأوصافه

وكما أن القلب يتعرض للأمراض والعلل، فإن هذا القلب يحصل له من الأحوال الإيمانية، والمقامات التعبدية من الصفات المحمودة مثل: اللين، والإخبات، والخشوع، والإخلاص، والحب لله، والتقوى، والثبات، والخوف، والرجاء، والإنابة، وغيرها كثير.

والنتيجة: السلامة (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)[1] [سورة الشعراء، الآية: 89]. والحياة، والإيمان، وصفة قلب صاحبه أبيض.

مواطن امتحان القلوب

ومواطن امتحان القلوب كثيرة، وحسبنا أن نشير إشارات سريعة إلى جملة منها. وإنما أشرنا إلى هذه المجالات لأن كثيرا من الناس يتصور أن القلب إنما يمتحن بالشهوات والمعاصي، ولكننا سوف نرى أن هذا من المواطن التي يمتحن فيها القلب، والله -سبحانه وتعالى- يقول: (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً)[2] [سورة الأنبياء، الآية: 35].

فمن المواطن التي يمتحن فيها القلب [3].

1- العبادة:

فالعبادة مثل: الصلاة والصدقة والصيام والحج وغيرها موضع امتحان وابتلاء، ففيها ابتلاء في تحقيق الإخلاص لله، وعدم مراعاة الناس بها، يقول الله -تعالى-: (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً)[4] [سورة الفرقان، الآية: 23]. وفي الحديث المرفوع: " إياكم وشرك السرائر قالوا: يا رسول الله، وما شرك السرائر؟ قال: يقوم الرجل فيصلي جاهرا لما يرى من نظر الرجل إليه، فذلك شرك السرائر " [5].

---

1 - سورة الشعراء آية: 89.

2 - سورة الأنبياء آية: 35.

3 - المواطن غير الأسباب فهي أعم من ذلك، فالعلم موطنا وليس سببا، والشهوات موطنا وسببا.

4 - سورة الفرقان آية: 23.

5 - صحه ابن خزيمة وغيره.

وفي العبادة ابتلاء بتصحيحها، وأدائها كما جاءت عن النبي الأمن، وابتلاء بتحقيق التقوى فيها، يقول- تعالى-: (وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ)[6] [سورة الحج، الآية: 37]. وهذا جزء يسير من الابتلاء الذي يحدث في هذا الموطن.

6 - سورة الحج آية: 37.

2- العلم: [1]

وهذا موطن خصب لامتحان القلوب، وكم فشل أناس في هذا الامتحان، فطائفة طلبوا العلم لله، ثم تحولت النية إلى الشهوة الخفية، حب الرئاسة، الشهرة، التصدر، التعالي على الأقران، المراء والجدل، القدح في الخصوم.. وغيرها.

وفي الحديث: " من تعلم علما مما يُبْتَغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة " يعني: ريحها [2].

3- الدعوة:

وهذا المجال من أشد مجالات امتحان القلوب. وأصحاب الدعوة المشتغلون بها من أشد الناس معاناة لهذا الامتحان. فشهوة توجيه الآخرين، والشهرة، والتعالي على الخلق كلها امتحانات قد تجعل الدعوة وبالا على صاحبها -والعياذ بالله- وفتنة النكوص عن الدعوة، أو توجيهها إلى غير رضى الله داء عضال.

4- الخلاف والجدل:

وهو مرتع من مراتع الشيطان. ومزرعة من مزارعه، ولذلك نبهنا الله جل وعلا إلى الأسلوب الأمثل في المجادلة فقال: (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[3] [سورة النحل، الآية: 125]. ولأنه قد يكون الباعث للجدال هو الانتصار للحق، ثم يتحول إلى انتصار

---

1 - انظر رسالة التعالم للعلامة بكر أبو زيد.

2 - رواه أبو داود (15/349 بذل) وابن ماجة (1/93) وحسنه الترمذي.

3 - سورة النحل آية: 125.

للنفس، وهنا مكمن الداء قال - سبحانـه-: (وَلا تُجَـادِلُوا أَهْـلَ الْكِتَـابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[4] [سورة العنكبوت، الآية: 46].

وصدق ابن مسعود رضي الله عنهحيـث قـال: إن الخلاف شر كله.

4 - سورة العنكبوت آية: 46.

5- الشهوات:

وإنما أخرتها قصدا؛ لأن كثيرا من الناس يقصر امتحان القلوب على الشهوات: المال، والمركب، والنساء، والبنين، والبنيان، وهذه لا شك أنها فتنة وابتلاء (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ)[1] [سورة التغابن، الآية: 15]. والرسول **صلى الله عليه وسلم** يقول: " إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن فتنة بني إسرائيل كانت في النساء " [2] لكن ما سبق أعظم أثرا وأوقع في أمراض هذا القلب، وسلبه عافيته.

6- الشبهات والفتن:

وهما مجال رحب من مجالات مرض القلب وسبب لكثير من العلل كما سيأتي بيانه.

7- الرياسة والمناصب:

فكم تغيرت من نفوس، وتباغضت من قلوب بسبب هذا الموطن الذي قل أن يسلم منه أحد، فالحسد والغيرة والحقد والغل أمراض مبعثها هذا الأمر في غالب الأحوال والأحيان.

8- النسب والحسب والجاه:

وهو أرض مثمرة لأمراض القلوب وأدوائه، فالتعالى والتفاخر والكبر وغيرها من أمراض القلوب تنطلق من هذه الأرض، ففيها تنبت ومنها تثمر.

---

1 - سورة التغابن آية: 15.

2 - رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري (4/2098).

ولعلنا الآن نبين شيئا من الأمراض والأدواء التي يكثر امتحان القلب بها، إلا إننا سنقدم لها تنبيهات مهمة:

تنبيهات مهمة

أولا: الحذر، الحذر من قيام الأخ إذا علم بهذه الأمراض والعلل بتصنيف الناس وينزل هذه الأمراض عليهم، فإن فعل ذلك أحد فهو أول الراسبين، فإن أعمال القلوب لرب القلوب -جل وعلا- يقول الله -سبحانه وتعالى- مخاطبا نبيه في حق المنافقين: (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً)[1] [سورة النساء، الآية: 63]. وإنما الصواب في أن نعرفها، فنصحح قلوبنا، ونقيها هذه الأدواء.

ثانيا: وكما يحذر الإنسان مما سبق، فينبغي ألا ينشغل بقلوب الناس عن قلبه، ولنتدبر أيها الإخوة هذه القصة المعبرة، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهقال: " بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة، فصبحنا القوم، فهزمناهم- ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، فلما غشيناه (أي ألحقنا به وعلوناه) قال: لا إله إلا الله، فكف عنه الأنصاري، وطعنته برمحي حتى قتلته. قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي: يا أسامة، أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله قال: قلت: يا رسول الله، إنما كان متعوذا (أي لاجئا

1 - سورة النساء آية: 63.

ومعتصما بها)، وليس بمخلص في إسلامه. قال: فقال أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله. قال: فما زال يكررها علي، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم " وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: " أفلا شققت عن قلبه، حتى تعلم أقالها أم لا " [1].

والله -سبحانه وتعالى- يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً)[2] [سورة النساء، الآية: 94]. فلا ينبغي التمادي في ذلك، والتساهل فيه.

ثالثا: أن نعنى ببيان هذه الأمراض للناس، وندلهم على سبل الوقاية منها، فكثير منهم يعيش في غفلة تامة، ويحرصون على الوقاية من الأمراض الحسية، أكثر من اهتمامهم بأمراض قلوبهم.

رابعا: هناك أسباب كثيرة لأمراض القلوب وفسادها من أهمها:

1- الجهل.

2- الفتن.

3- الشهوات والمعاصي.

4- الشبهات.

5- الغفلة عن ذكر الله.

6- الهوى.

---

1 - رواه البخاري (7/517 فتح) ومسلم (1/96) وقد أطال في عرض روايات الحديث.

2 - سورة النساء آية: 94.

7- الرفقة السيئة.

8- أكل الحرام كالربا والرشوة وغيرهما.

9- إطلاق البصر فيما حرم الله.

10- الغيبة والنميمة.

11- الانشغال بالدنيا وجعلها جل همه وقصده.

من أمراض القلوب

1- النفاق

2- الرياء

3- مرض الشبهة والشك والريبة

4- سوء الظن
5- الحسد والغيرة
6- الكبر والإعجاب بالنفس واحتقار الآخرين والاستهزاء بهم
7- الحقد والغل
8- اليأس
9- الهوى ومحبة غير الله
10- الخشية والخوف من غير الله
11- الوسواس
12- قسوة القلوب
13- التحزب لغير الحق

النفاق

وهو من أخطر هذه الأمـراض، وأشـدها فتكـا بالإنسـان، وأفظعهـا عاقبة في الآخرة.

ولا يتصور أحد أن النفاق قد انتهى بنهاية عهد النبي صلى اللـه عليه وسلم ونهاية شخصياته البارزة كعبد الله بـن أبـي بـن سـلول وغيـره، بـل إن النفـاق الآن لا يقـل خطـورة عنـه فـي الماضي.

ولقد كان السلف الصالح من أشد الناس خوفـا مـن النفـاق، وهـذا عمـر بـن الخطـاب -وهـو مـن هـو صـحبة وعلمـا وعملا وإخلاصا- يناشد حذيفـة: هـل عـدني رسـول اللـه صلى الله

عليه وسلم من المنافقين؟ فقال: لا، ولا أزكي أحدا بعدك [1].

وهذا ابن أبي مليكة -رحمه الله- وهو سيد من سادات التابعين يقول: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي، كلهم يخشى النفاق على نفسه [2].

ونحن الآن نقول: هل نجد ثلاثين يخافون النفاق على أنفسهم، ومن تأمل صفات المنافقين مما ذكره الله في كتابه في مواضع كثيرة، وما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم علم أن الأمر جد خطير، خاصة ونحن نرى تساهل الناس في الاتصاف بصفاتهم، مع أمنهم من ذلك، ومن ذلك:

أن بعض الناس يتحدث عن القضاة وأخطائهم، ومثالبهم بحق وبغير حق، ويتعدى الحديث إلى أقضيتهم وأحكامهم. ثم هو يحسن للناس أحوال الغربيين وأحكامهم ومساواتهم، جاهلا أو متجاهلا ما هم فيه من شقاء وتبرم وضياع، بتركهم شرع الله وكفرهم بآياته.

والله -سبحانه وتعالى- يقول: (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)[3] [سورة النساء، الآية: 65].

وهذا أمر أصبح حديث بعض المجالس، فالله الله من التشبه بصفات المنافقين، والسير في ركابهم، من كره الدين وبغض المتدينيين ونحو ذلك.

---

1 - نسبه في كنز العمال (13/344) إلى رسته.

2 - رواه البخاري تعليقا عنه (1/ 109) وقال ابن حجر: أخرجه المروزي مطولا في كتاب الإيمان، وأبو زرعة في تاريخه.

3 - سورة النساء آية: 65.

الرياء

وهذا مرض جد خطير لخفائه، ولأثره في إفساد العمل، وقلة من يسلم منه، وقد جاء في الحديث يقول الله -تعالى-: " أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه " [1].

وفي الحديث الآخر: " من سمّع سمّع الله به، ومن يراء يراء الله به " [2] وقد ذكر الله من صفات المنافقين (يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً)[3] [سورة النساء، الآية: 142].

وهو أدق من الشعرة السوداء على الصخرة السوداء في الليلة الظلماء: (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً)[4] [سورة الفرقان، الآية: 23].

مرض الشبهة والشك والريبة

يقول الله تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ)[5] [سورة آل عمران، الآية: 7].

ويقول سبحانه: (وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ)[6] [سورة التوبة، الآية: 45]. ويقول: (لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ)[7] [سورة التوبة، الآية: 110]. وقال: (أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا)[8] [سورة النور، الآية: 50]. (وَإِذْ

---

1 - رواه مسلم (4/2289).

2 - رواه البخاري (11/335) ومسلم (4/2289).

3 - سورة النساء آية: 142.

4 - سورة الفرقان آية: 23.

5 - سورة آل عمران آية: 7.

6 - سورة التوبة آية: 45.

7 - سورة التوبة آية: 110.

8 - سورة النور آية: 50.

يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّـهُ وَرَسُـولُهُ إِلَّا غُرُوراً)[1] [سورة الأحزاب، الآية: 12]. (وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً)[2] [سورة المدثر، الآية: 31].

وهو من أخطر الأمراض، وأشـدها فتكـا، ولا يـزال بالإنسـان حـتى يوقعه في الشرك والكفر.

ودواؤه كثرة الاستعاذة بالله من الشـيطان، وكراهيـة هـذا الـوارد، ومـدافعته بالاسـتعانة بـالله، والرجـوع إلـى الإيمـان بـالله ورسـوله والاعـتراف بوحـدانيته وصـفاته، وفـي الحـديث: " لا يـزال النـاس يتساءلون، حتى يقال: هذا خلق اللـه الخلـق، فمـن خلـق اللـه؟ فمن وجد من ذلك شيئا فيلقل: آمنت بالله ورسـوله " [3] وفـي رواية: " فليستعذ بالله، ولينته " [4].

سوءالظن

وسوء الظن بالله من أعظم أمراض القلب ولعلنا هنـا نقـف وقفة يسيرة حوله، للتحذير منه، وبيان خطورته.

فمن الناس مـن يسـيء الظـن بـالله -تعـالى-، حيـث يسـيء الظن بوعده، ونصره لعباده المؤمنين، ولدعاته المجاهدين.

ومن الناس من يسيء الظن بربه أن يرزقه، فتجده يثق بما في أيدي الناس أعظم من ثقته بما عند الله، ويظـن أن رزقـه إنما هو بيد الحكومة أو الشـركة أو النـاس. وتجـده يضـع لـذلك

1 - سورة الأحزاب آية: 12.

2 - سورة المدثر آية: 31.

3 - رواه مسلم (1/119).

4 - رواه مسلم (1/120).

الحسابات، ناسيا التوكل على الله والثقة به، (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا)[1] [سورة هود، الآية: 6].

وقد ذم الله -سبحانه وتعالى- من يسيئون الظن به، وجعله من أمر الجاهلية (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ)[2] [سورة آل عمران، الآية: 154].

وقال سبحانه: (وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً)[3] [سورة الفتح، الآية: 12]. (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[4] [سورة فصلت، الآية: 23]. (وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا)[5] [سورة الأحزاب، الآية: 10]. (وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً)[6] (الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ)[7] [سورة الفتح، الآية: 6]. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)[8] [سورة الحجرات، الآية: 12].

ويقول **صلى الله عليه وسلم** ناصحا أمته: " إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث "[9].

---

1 - سورة هود آية: 6.

2 - سورة آل عمران آية: 154.

3 - سورة الفتح آية: 12.

4 - سورة فصلت آية: 23.

5 - سورة الأحزاب آية: 10.

6 - سورة يونس آية: 36.

7 - سورة الفتح آية: 6.

8 - سورة الحجرات آية: 12.

9 - متفق عليه.

وعلينا أن نحسن الظن بالله، فالله عند ظن عبده به: قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه جل وعلا: " أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء " [10] الحديث.

الحسد والغيرة

ومن منا ينجو منهما. **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** -رحمه الله-: "والحسذ مرض من أمراض النفس، وهو مرض غالب، فلا يخلص منه إلا القليل من الناس، ولهذا يقال: ما خلا جسد من حسد. لكن اللئيم يبديه، والكريم يخفيه [2] ولذلك يقول الله -جل وعلا-: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)[3] [سورة النساء، الآية: 54]. وأمرنا بالتعوذ صباح مساء (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)[4] [سورة الفلق، الآية: 5]..

وفي الحديث المتفق عليه " لا تباغضوا ولا تحاسدوا " وعن أبي هريرة رضي الله عنهأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب " أو قال: " العشب " [5].

ويقول الحسن البصري: عمه في صدرك، فإنه لا يضرك، ما لم تعتد به يد أو لسان [6].

---

10 - رواه أبو داود.

2 - انظر رسالة أمراض القلوب وشفاؤها لشيخ الإسلام.

3 - سورة النساء آية: 54.

4 - سورة الفلق آية: 5.

5 - انظر رسالة أمراض القلوب وشفاؤها لشيخ الإسلام.

6 - انظر رسالة أمراض القلوب وشفاؤها لشيخ الإسلام.

وأما عن علاجه، فقد ذكر شيخ الإسلام كلاما طيبا في علاجه، حيث يقول: "من وجد في نفسه حسدا لغيره، فعليه أن يستعمل معه التقوى، والصبر، فيكره ذلك من نفسه". [1].

ولما كان الحسد لا يسلم منه أحد خاصة النساء والعوام، أحببت أن أنبه على الفرق بين الحسد والغبطة، فالأول مذموم كما سبق-، والثاني غير مذموم.

فالأول: يتمنى أن تزول النعمة من صاحبه.

وأما الآخر فهو يحب أن يعطاها دون أن يتمنى زوالها من أخيه، وفي الحديث: " لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها " [2]. أخرجاه. وفي رواية: " لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله هذا الكتاب، فقام به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا، فتصدق به آناء الليل وآناء النهار " [3].

الكبر والإعجاب بالنفس واحتقار الآخرين والاستهزاء بهم

يقول الله (إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ)[4] [سورة غافر، الآية: 56].

---

1 - انظر رسالة أمراض القلوب وشفاؤها لشيخ الإسلام.

2 - رواه البخاري (1/165) ومسلم (1/559) عن ابن مسعود- رضي الله عنه.

3 - رواه البخاري (9/73) ومسلم (1/559) عن ابن عمر- رضي الله.

4 - سورة غافر آية: 56.

ويقول -جل وعلا-: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ)[1] [سورة الأعراف، الآية: 146].

ويقول -جل وعلا-: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)[2] [سورة القصص، الآية: 83]. وقال -سبحانه-: (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ)[3] [سورة غافر، الآية: 35]. وقال: (إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ)[4] [سورة النحل، الآية: 23]. وقال - سبحانه-: (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً)[5] [سورة التوبة، الآية: 25].

ومن وصايا لقمان لابنه: (وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً)[6] [سورة لقمان، الآية: 18]. وتزكية النفس بلاء وأي بلاء: قال -جل وعلا-: (فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى)[7] [سورة النجم، الآية: 32].

وقال: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ)[8] [سورة النساء، الآية: 49]. ونهى - سبحانه- عن السخرية فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ)[9] [سورة الحجرات، الآية: 11]. والاستهزاء مرض مهلك: (قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)[10]

---

1 - سورة الأعراف آية: 146.

2 - سورة القصص آية: 83.

3 - سورة غافر آية: 35.

4 - سورة النحل آية: 23.

5 - سورة التوبة آية: 25.

6 - سورة لقمان آية: 18.

7 - سورة النجم آية: 32.

8 - سورة النساء آية: 49.

9 - سورة الحجرات آية: 11.

10 - سورة التوبة آية: 65-66.

[سورة التوبة، الآيتان: 65-66]. (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ)[1] [سورة المطففين، الآية: 29].

ويقول صلى الله عليه وسلم " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر "، [2] ويقول صلى الله عليه وسلم " بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم " [3].

وقد كثر في زماننا احتقار الآخرين، والتعالي والتكبر عليهم، فتجد أحدهم يحتقر فلانا لأنه دونه في العلم، أو لأنه دونه في المرتبة أو الوظيفة، أو لأنه فقير، أو لأنه من قبيلة كذا... وهلم جرا.

وقد ورد عنه، صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم " [4].

وبعض الناس يتأفف من أن ينادي من هو أقل منه درجة أو رتبة باسم الأخوة، بل يصدر إليه الأمر دون تهذيب أو حسن أسلوب، ودون مراعاة لنفسيته، كل ذلك بدعوى المحافظة على الهيبة والهيمنة.

وما روى المسكين أنه ربما أن يكون من يراه فراشا أحب عند الله وأفضل بآلاف المرات، يقول الرسول، صلى الله

1 - سورة المطففين آية: 29.

2 - رواه مسلم (1/93).

3 - رواه مسلم (4/1986).

4 - رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

عليه وسلم " رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره " [1].

ومما ينبغي التنبيه عليه أيضا قضية الاستهزاء بالصالحين، وهي قضية خطيرة.

يقول الله -تعالى-: (قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)[2] [سورة التوبة، الآيتان: 65-66].

وكذلك الاستهزاء ببعض الشعائر كاللحية والحجاب وتقصير الثوب مما يخشى على من يستهزئ بها من الردة -والعياذ بالله- فلننتبه ولننبه إخواننا، فالأمر جد خطير.

الحقد والغل

فمن دعاء المؤمنين التابعين بإحسان: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا)[3] [سورة الحشر، الآية: 10].

ويقول تعالى مخبرا عن إكرامه لأهل الجنة: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ)[4] [سورة الحجر، الآية: 47]. (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ)[5] [سورة الأعراف، الآية: 43].

ولعلنا نقتصر في الحديث عن هذا المرض بهذه القصة المعبرة: قصة عبد الله بن عمرو بن العاص، ذلك الشاب الذي رباه الرسول صلى الله عليه وسلم وأدبه وعلمه، رباهم على مواطن

1 - رواه مسلم (4/2024).

2 - سورة التوبة آية: 65-66.

3 - سورة الحشر آية: 10.

4 - سورة الحجر آية: 47.

5 - سورة الأعراف آية: 43.

العزة والقوة والعلم، لا كحال كثير من شبابنا اليوم ممن استهوتهم الرياضة أو الفن أو غيرها مما لا ينفعهم، بل يضرهم.

روي الإمام أحمد من حديث أنس رضي الله عنهقال: كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلع رجل من الأنصار، تنطف لحيته (أي: تقطر) من وضوئه، قد علق نعليه بيده الشمال، فلما كان الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال: إني لاحيت أبي (أي: خاصمت) فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت، قال: نعم. قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا تعار (أي: استيقظ) وتقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر. قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا، فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أن أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله، لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرات: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث المرات، فأردت أن آوي إليك لأنظر

ما عملك، فأقتدي بك، فلم أرك تعمل كبير عمل. فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم؟ قال: ما هـو إلا ما رأيت، فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أنـي لا أجد في نفسي لأحـد مـن المسـلمين غشـا. ولا أحسـد أحـدا على خير أعطاه الله إياه. قال عبد الله: فهذه التي بلغـت بـك، وهي التي لا تطاق " [1].

إذن ! هذا هو قدر امتلاء القلـب بمحبـة المسـلمين، والصـفح عنهم، والصبر عليهم.

ولنتدبر أخي المسلم -هذا الحـديث الـذي يرويـه مسـلم فـي صحيحه عن أبي هريرة مرفوعا: " تفتح أبواب الجنة يوم الاثنيـن ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بـالله شـيئا، إلا رجـل كان بينه وبين أخيه شـحناء، فيقـال: أنظـروا (أي: أخـروا) هـذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا " [2].

وقد ذكـر الأطبـاء أن الغـل يـؤدي بصـاحبه فـي الـدنيا لأثـره السيء على صحـة الإنسان وسلامته، وهذه هي العقوبة العاجلة والآجلة أشد وأنكى.

اليأس

وهو مرض ينشأ عنـد اسـتحكام البلاء، واسـتبطاء نصـر اللـه، فييأس بعض الناس من نصـر اللـه ووعـده [3] بمـا يـؤدي عنـد

1 - رواه أحمد (19/238 فتح) والنسائي في عمل اليوم والليلة، وقال ابن كثير في رواية النسائي، هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، تفسير ابن كثير (4/337) ط المعرفة.

2 - رواه مسلم (4/ 1987).

3 - وتحسن الإشارة هنا إلى أن معنى قوله تعالى: (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم كذبوا جاءهم نصرنا) [يوسف: 110]، أي حتى استيأسوا من قومهم، أي يئسوا من إسلامهم وإجابة دعوتهم، وهذا تفسير عائشة- رضي الله عنها- كما في صحيح البخاري.

بعضهم إلى ترك الدعوة والعمل، وأعظم من ذلك اعتقاد تخلف وعد الله أو وعيده في الدنيا أو الآخرة.

ولا نـــزال نسمـــع أن بعـض النـاس تخلفـوا عـن الطريـق لاعتقادهم -مثلا- أنه في ضوء هذا الواقع المر، واستحكام أعداء الله، وقبضتهم علـى زمـام الأمـور، وسـيطرتهم علـى الأوضـاع السياسية والاقتصـادية، لا يمكن أن ينتصر الإسـلام أو تقـوم لـه قائمة.

وهذه قصة أخبرني بها أحد الأصـدقاء عـن رجـل صـالح خيـر مارس الدعوة إلـى اللـه، ثـم تخلـى عـن ذلـك. فجـاءه محبـوه، وسألوه عن ذلك، فقال: هـل نسـتطيع أن نـدعو إلـى اللـه فـي غفلة عن أمريكا، وأجهزة تصنتها ومخابراتها، فهل يخفـى عليهـا شيء، وعلى هذا فلن نستطيع عمل شيء- هكذا قال.

وقد نسي هذا المسـكين أن اللـه (غَـالِبٌ عَلَـى أَمْـرِهِ وَلَكِـنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)[1] [سورة يوسف، الآية: 21].

وهذه قصة موسى -مثلا- تحكي في كل مرحلة من مراحـل حيـاته أو دعوته عناية اللـه بـه وبالـدعوة، وإملاء اللـه للظـالمين، والتمكيـن لهذه الدعوة ولنتأمل قوله -تعالى-: (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُـمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَـانُوا خَـاطِئِينَ)[2] [سـورة القصص، الآية: 8]. وقوله -تعالى-: (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَـرَّ عَيْنُهَـا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ)[3] [سورة القصص، الآية: 13]. وقـوله : (وَجَـاءَ رَجُـلٌ مِـنْ أَقْصَـى الْمَدِينَـةِ

1 - سورة يوسف آية: 21.

2 - سورة القصص آية: 8.

3 - سورة القصص آية: 13.

يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ)[1] [سورة القصص، الآية: 20]. ولما قال بعض قومه (إِنَّا لَمُدْرَكُونَ)[2] [سورة الشعراء، الآية: 61]. قال لهم واثقا: (كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)[3] [سورة الشعراء، الآية: 62]. وهكذا قصص الأنبياء تبين حفظ الله لدعوته، وإملاءه للطغاة الظلمة، حتى تتمكن هذه الدعوة الربانية (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)[4] [سورة القصص، الآية: 5].

ويعجبني أن أذكر هنا قصة مشهورة تبين نقاء النظرة، وصفاء السريرة لرجل من عامة الناس، فإن آباءنا يذكرون أنه في أثناء حصار إحدى المدن، حدث أن بدء الناس يتحدثون عن الطائرات التي قد يستخدمها العدو، ففزع بعض الناس وخافوا، ولم يكونوا رأوا الطائرات بعد، فجاء هذا الأعرابي، وسأل الناس عن هذه الطائرات؟ قالوا: شيء يأتي من فوق يرمينا بالقنابل، فقال: بفطرته السليمة - أهي فوق الله أم الله فوقها؟! فلما أجابوه بأن الله أعلى منها، قال: لا تهمكم. وما أحوجنا إلى أمثال أصحاب هذه الفطر السليمة.

وهذه قصة أخرى تتميما للفائدة، إلا إن صاحبها شاعر فاسق ماجن وهي أنه لما قام أحد رؤساء الدول العربية، وقال: إن (99%) من أوراق القضية الفلسطينية بيد أمريكا، ومعنى هذا: أن نستسلم لأمريكا، ونسلمها مقاليد الأمور، فرد عليه هذا الشاعر الفاسق قائلا:

1 - سورة القصص آية: 20.

2 - سورة الشعراء آية: 61.

3 - سورة الشعراء آية: 62.

4 - سورة القصص آية: 5.

ولتعلم أمريكا أنها ليست ولن تمنع الطائر
هي الله العزيز القدير من أن يطير

(وصدق وهو كذوب).

فلننتبه إلى هذا المرض، ولنستشعر قوله -تعالى-: (الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً)[1] [سورة المائدة، الآية: 3].

وأخيرا فلنتأمل قوله -تعالى-: (وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)[2] [سورة يوسف، الآية: 87].

الهوى ومحبة غير الله

فإنه آفة الآفات، والسم الزعاف لهذا القلب، يوم أن تكون محبة الشخص لغير الله، وموالاته ومعاداته في سبيل دنياه، وأهوائه، وأطماعه الشخصية. وهذا لا شك موصل صاحبه إلى الهلاك والبوار وتأمل معي في هذه الآيات:[3] (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى)[4] [سورة النجم، الآية: 23] (كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ)[5] [سورة الأنعام، الآية: 71] (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً)[6] [سورة القصص، الآية: 50] (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ)[7] [سورة الجاثية

1 - سورة المائدة آية: 3.

2 - سورة يوسف آية: 87.

3 - دلالة هذه الآيات أعم مما ذكر فينتبه لذلك.

4 - سورة النجم آية: 23.

5 - سورة الأنعام آية: 71.

6 - سورة القصص آية: 50.

7 - سورة الجاثية آية: 23.

الآية: 23] (أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ)[1] [سورة محمد، الآية: 16] (وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ)[2] [سورة الأنعام، الآية: 119] والهوى مرض من أمراض القلب سواء أكان الهوى بمعناه العام أو الخاص.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في بيان كون الحب يعمي ويصم: ".. ولذلك قال الشاعر:

عدو لمن عادت, ومن قربت ليلى أحب
وسلم لأهلها وأقربا [3]

فهذا جعل الولاء والبراء في ليلى، وليس في الله.

وذكر شيخ الإسلام أيضا قصة رجل أحب امرأة سوداء حبا عجيبا، أخذت عليه مجامع قلبه، فيقول هذا الرجل:

أحب لحبها السودان أحب لحبها سود الكلاب
حتى

والواجب أن يكون حبنا وبغضنا، وعطاؤنا ومنعنا، وفعلنا وتركنا لله -سبحانه وتعالى- لا شريك له، ممتثلين قوله، صلى الله عليه وسلم " من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع الله، فقد استكمل الإيمان " [4].

وأسوأ أنواع الحب محبة أعداء الله.

---

1 - سورة محمد آية: 16.

2 - سورة الأنعام آية: 119.

3 - انظر رسالة أمراض القلوب وشفاؤها لشيخ الإسلام.

4 - رواه أحمد عن معاذ بن أنس وغيره.

الخشية والخوف من غير الله

يقول تعالى: (فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ)[1] [سورة المائدة، الآية: 44] ويقول- عز وجل-: (فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[2] [سورة التوبة، الآية: 13].

ومن صفات الذين في قلوبهم مرض أنهم يقولون (يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ)[3] [سورة المائدة، الآية: 52] ومن صفات الذين سلمت قلوبهم وآمنت (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)[4] [سورة آل عمران، الآية: 173].

وهناك خوف جبلي لا يقدح في المعتقد كخوف الإنسان من عدوه إنسانا أو حيوانا، أما الخشية فلا تكون إلا من الله.

وعدم الخوف دليل على قوة القلب وجسارته، كما أنه دليل على الإيمان، قال الإمام أحمد: "لو صححت لم تخف أحدا"، أي من المخلوقين.

الوسواس

وهو بلاء عمّ وطمّ، وصار يلعب بكثير من الناس، ويضيع عليهم فرائضهم وعباداتهم، يقول الشيخ السعدي -في جواب له عن دواء الوسواس: ليس له دواء إلا سؤال الله العافية، والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، والاجتهاد في دفع الوساوس، وأن يتلهى عنها ولا يجعلها تشغل فكره، فإنه إذا تمادت فيه الوساوس اشتدت

1 - سورة المائدة آية: 44.

2 - سورة التوبة آية: 13.

3 - سورة المائدة آية: 52.

4 - سورة آل عمران آية: 173.

واستحكمت، وإذا حرص على دفعها والتلهي عن الذي يقع في القلب اضمحلت شيئا فشيئا، والله أعلم [1].

وقد أمرنا بالتعوذ منه كما في سورة الناس: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ)[2] [الناس: 1- 6].

قسوة القلب

وهو مرض تنشأ عنه أمراض، وتظهر له أعراض ولا يسلم من ذلك إلا من سلمه الله وأخذ بالأسباب: وتظهر خطورة هذا الداء من خلال هذه الآيات:

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً)[3] [سورة البقرة، الآية: 74]ـ (وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[4] [سورة الأنعام، الآية: 43] (فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ)[5] [الزمر: 22] (فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ)[6] [سورة الحديد، الآية: 16].

وأبعد القلوب من الله القلب القاسي.

التحزب لغير الحق

وهو مرض خطير، وداء يقتل ويهلك الأفراد والأمة على حد سواء، وهو على نوعين:

1- التحزب لبعض المبادئ الأرضية:

1 - ينصح في هذا المجال الرجوع إلى كتاب العلامة ابن القيم إغاثة اللهفان، وكذلك محاضرة: "رسالة إلى موسوس" للشيخ سلمان العودة.

2 - سورة الناس آية: 1-6.

3 - سورة البقرة آية: 74.

4 - سورة الأنعام آية: 43.

5 - سورة الزمر آية: 22.

6 - سورة الحديد آية: 16.

كالقومية والوطنية والعلمانية وغيرها من المبادئ الضالة، وهذه قد راج سوقها وكثر، خاصة في هذه الأيام، ونحن نسمع عما يسمى (الوحدة الوطنية)، وهي الحب على أساس المواطنة، فما كان من وطنك تحبه سواء كان مسلما أو فاسقا أو كافرا، فالمهم أنه مواطن مثلك، بينما لا تحمل هذا الشعور لأخ مسلم من غير وطنك، ولو كان من أتقى الناس.

فهي موالاة ومعاداة على أساس الوطن. حتى قال أحدهم -فض الله فاه-: كل حب يذهب ويتلاشى إلا حب الوطن. يعني إلا حب التراب، حب الأرض، ملأ الله جوفه قيحا وصديدا، هكذا: كل حب يذهب حتى حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم إلا حب الوطن، فهو شرك من نوع جديد.

وما دري هذا المسكين أننا لا نزال نقرأ في القرآن: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)[1] وقد نزلت في عم النبي صلى الله عليه وسلم أبي لهب، ونحن نتبرأ منه ونبغضه. ونحن لا نزال نثني على بلال الحبشي وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، ونترضى عنهم، ونسأل الله أن نحشر في زمرتهم.

ولا يفهم من هذا الكلام أننا لا نحب الوطن، كلا، فهو أمر جبلي مركوز في النفس، لكن حب الوطن لا بد أن يكون خاضعا لحب الله ورسوله. وهل هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من وطنه وأفضل بقاع الأرض (مكة) إلا لما كان في ذلك مرضاة لله ورسوله، وهكذا المهاجرون وغيرهم.

---

1 - سورة المسد آية: 1.

2- التحزب من بعض المسلمين ضد بعض:

فنجد بعض الدعاة يتحزبون ضد بعض، وبعض طلبة العلم يتحزبون ضد بعض، فيحب هذا أكثر من هذا لأن الأول من حزبه، ولو كان الثاني أتقى منه وأفضل. وهذا خطأ كبير، وهذا يحب ذاك لأنه يتبع شيخه أو إمامه، ويعادي الآخر لأنه يتبع إماما أو شيخا آخر.

فالواجب موالاة المسلمين لإيمانهم، ومعاداة الكفار لكفرهم، ولا يجوز التحزب لغير الحق، فإنه يورث الأمة التفرق والتشتت (وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[1] [سورة آل عمران، الآية: 105] وهناك فرق كبير بين التحزب وبين التنافس في الخير فالتنافس مطلوب ومحمود (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ)[2] [سورة آل عمران، الآية: 133] (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ)[3] [سورة الحديد، الآية: 21] أما التحزب فمذموم، وكم أودى بأمم وجماعات وأفراد. حتى صار حال بعضهم كما قال الشاعر:

وهل أنا إلا من غزية إن وإن ترشد غزية
غوت غويت أرشد

وعلاج التحزب بالتجرد لله -جل وعلا-، والسلامة من الهوى والتحري في المنهج، وأن نعرف الرجال بالحق، لا الحق، بقول الرجال.

---

1 - سورة آل عمران آية: 105.

2 - سورة آل عمران آية: 133.

3 - سورة الحديد آية: 21.

واذكر الدعاء بقوله صلى الله عليه وسلم في الحـديث: " إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيـرة العـرب، ولكن في التحريش بينهم " [1].

وأخيرا: قـد يقـول قائـل: ولكـن مـا العلاج؟ فـأنت شخصـت الداء، فهلا بينت الدواء، وعلمتنا طريق النجاة.

فلا أدعي أنني سوف أحيط بجــوانب علاج أمـراض القلـوب، ولكن حسبي أن أذكر شيئا من الوسـائل لعلاج هـذه الأمـراض، اختصرها بما يأتي:

علاج أمراض القلوب

أولا: إن أساس صحة القلب وسلامته في إيمانه بالله ويتفرع عنه ما يأتي:

1- كمال محبة الله: بأن يكـون حبـه للـه، وفـي اللـه، وأن يكـون بغضه ومعاداته لله، وقد بين شيخ الإسـلام ابـن تيميـة أن مـن أعظـم وسائل علاج القلب: أن يمتلئ قلب الإنسان بحب الله، (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ)[2] [سورة البقرة، الآية: 165] وأما وسـائل محبـة اللـه فكثيرة، منها:

قراءة القرآن وتدبره وفهم معانيه، والتقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، ودوام ذكر الله علـى كـل حـال، وإيثـار محـابه علـى هـوى نفسك ومحابها، ومطالعة القلـب لأسـماء اللـه وصـفاته، ومشـاهدتها

1 - هناك خلط كبير بين الحزبية والانتماء، حتى أصبح الحديث عن أحدهما يراد به المعنى الآخر، مع أن هناك فرقا بينهما، فالحزبية مذمومة، إلا تحزب المؤمنين ضد الكافرين، والانتماء لأهل السنة والجماعة مشروع، ولا يذم منه إلا ما كان انتماء بدعيا أو جاهليا.

2 - سورة البقرة آية: 165.

ومعرفتها، وانكسار القلب بين يدي الله وغيرها من الوسائل [1].

ثانيا: الإخلاص:

يقول (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)[2] [سورة الأنعام، الآيتان: 162-163].

أخلصوا لله في أعمالكم، وستجدون راحة في صدوركم، ولذلك يقول الله (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ)[3].

1 - انظر مدارج السالكين (3/18) لابن القيم ج 1 دار النفائس.

2 - سورة الأنعام آية: 162-163.

3 - سورة البينة آية: 5.

ثالثا: حسن المتابعة:

بأن يكون عمله واعتقاده وفق ما أمر الله ورسوله. يقول الله -تعالى-: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)[1] [سورة آل عمران، الآية: 31]. ويقول (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)[2] [سورة الحشر، الآية: 7].

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)[3] [سورة الأحزاب، الآية: 36].

فلو سألنا أنفسنا: هل ننطلق في كل تصرفاتنا وأعمالنا ونياتنا وفق ما شرع الله؟

إن بعض الناس ينطلق في تصرفاته من هوى زوجته، وبعضهم من هوى رئيسه، وبعضهم أعراف قبيلته أو نظام جماعته وهكذا، ولو خالف أمر الله ورسوله.

ولو ناقشت أحدهم مرة، فقلت له: لم يا أخي تعمل هذا العمل؟ لقال: رئيسي هو الذي أمرني به، فقلت: ولكنه حرام، لأجاب: أعرف أنه حرام، ولكن ماذا أعمل؟ لو لم أفعل لما رشحني للترقية، أو لفصلني من الوظيفة أو... الخ. فأين المتابعة لله ولرسوله من هذا الذي قدم هوى رئيسه على مرضاة ربه؟

إننا بحاجة إلى مراجعة أعمالنا، وتحقيق صدق المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم " لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به "[4].

---

1 - سورة آل عمران آية: 31.

2 - سورة الحشر آية: 7.

3 - سورة الأحزاب آية: 36.

4 - قال النووي: حديث حسن صحيح رويناه في كتاب الحجة، بإسناد صحيح، وأعله ابن رجب كما في جامع العلوم والحكم ص 1574 ط دار الفرقان.

وفي الحديث الصحيح: " من أحدث فـي أمرنـا هـذا مـا ليـس منه فهو رد ".

ومما يعين على تحقيق هـذه الأصـول ليسـلم القلـب، وينمـو مما يعرض له من ابتلاء وامتحان ما يأتي:

1- ذكر الله:

فـإنه يجلـو صـدأ القلـوب، ويـذهب مـا ران عليهـا مـن آثـام ومعـاص، ويزيـد مـن قـرب الإنسـان لربـه لا سـيما إذا كـان مستشعرا للذكر، مصاحبا له في كل أحواله وحركاته وهيئاته.

يقول الله (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّـذِينَ آمَنُـوا أَنْ تَخْشَـعَ قُلُـوبُهُمْ لِـذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَـقِّ)[1] [سورة الحشـر، الآيـة: 16] ويقول (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَـا هُـوَ شِـفَاءٌ وَرَحْمَـةٌ لِلْمُـؤْمِنِينَ)[2] [سورة الإسراء، الآية: 82] وقد ذم الله المنافقين في كتابه لقلة ذكرهم لله. فذكر الله علاج حاسم لابتلاء القلب وامتحـانه (أَلا بِـذِكْرِ اللَّـهِ تَطْمَئِـنُّ الْقُلُوبُ)[3] [سورة الرعد، الآية: 28]

ومن أعظم أنواع ذكر الله: قراءة القـرآن، يقـول - تعـالى -: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)[4] [سورة محمد، الآية: 24].

ونحن نرى كثـيرا من المسلمـين يسـتغرق فـي قـراءة، الصـحف والجرايد، ومطالعـة وسائل الإعلام وقتـا طـويلا بلا تعـب ولا كلـل ولا ملل. بينما تجد الواحد منهم لا يقرأ ولو جزءا يسيرا مـن القـرآن، بـل لو جلس وقتا لقراءة القرآن لم يلبث أن يمل ويعدوه إلى غيره.

يقول أحد السلف: واللـه لـو طهـرت قلوبنـا مـا مللنـا مـن قـراءة القرآن.

2- المراقبة والمحاسبة:

---

1 - سورة الحديد آية: 16.

2 - سورة الإسراء آية: 82.

3 - سورة الرعد آية: 28.

4 - سورة محمد آية: 24.

وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله-: أنها من أهم العوامل لعلاج القلب واستقامته.

يقـول ابـن القيـم: وهلاك النفـس مـن إهمـال محاسـبتها، ومـن موافقتها واتباع هواها، ولذلك ورد في الأثر: "الكيس من دان نفسـه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني" [1] وكان عمر يقول:

"حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا. وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا" [2] ويقول الحسن: "لا تلقى المؤمن إلا وهو يحاسب نفسـه"، ويقـول أيضا: "إن العبد ما يزال بخير ما كـان لـه واعـظ مـن نفسـه، وكـانت المحاسـبة مـن همتـه"، وقـال ميمـون بـن مهـران: "إن التقـي أشـد محاسبة لنفسه من شريك شحيح" [3].

فيراقـب الإنسـان نفسـه قبـل العمـل: فـي إخلاصـه، ومتـابعته. ويراقب قلبه في تحقيقه للمحبة لله وفي الله، ويجاهدها علـى ذلـك. كـما يحاسبها بعد العمل على التقصير فيه، وعدم كـمال الإخلاص.

ولا ريب أن هذين من أهم الوسائل لعلاج أمـراض القلـب، يقـول -تعالى-: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَـا لَنَهْـدِيَنَّهُمْ سُـبُلَنَا)[4] [سـورة العنكبـوت، الآية: 69].

3- وسائل أخرى:

1 - رواه أحمد (4/ 124)، وابن ماجة (2/1423) والترمذي (4/ 550) وحسنه، وضعفه غيره، وليس فيه (الأماني).

2 - الأثر رواه الترمذي (4/ 550).

3 - انظر رسالة مرض القلب وصحته.

4 - سورة العنكبوت آية: 69.

فمنها العلم، تحقيق التقوى، قيام الليل، كـثرة الـدعاء خاصـة فـي الثلث الأخير من الليل، فإن سهام الليل لا تخطيء، فليكـثر الإنسـان فيه من التضرع إلى الله، وسؤاله الصفح والمغفرة والستر والتجاوز.

ومنها إطابة المطعم والملبس، وكثرة الصدقـة، (خُذْ مِنْ أَمْـوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا)[1] [سورة التوبة، الآية: 103].

ومن أعظمها: غض البصر، قال - سبحانه-: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّـوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُـمْ ذَلِـكَ أَزْكَـى لَهُـمْ)[2] [سـورة النـور، الآية: 30] وهنـا، وبعـد أن ذكرنـا علاج أمـراض القلـوب، نـذكر كلامـا نفيسا لابن القيم.

علامات صحة القلب وسلامته، وعلامات موته وشقاوته.

علامات صحة القلب وسلامته

قال ابن القيم -رحمه الله- في علامات صحة القلب ونجاته:

1- أنه لا يزال يضرب على صاحبه حتى يتوب إلى الله وينيب.

2- أنه لا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من عبادته.

3- أنه إذا فاته ورده وجد لفواته ألما أشد مـن فـوات مـاله. وهنـا وقفة! رحم الله ابن القيم، فما عساه يقول فيمن ليـس لـه ورد، بـل ما عساه يقول فيمن إذا فاتته الصلاة المفروضة لا يجد ألما وحسرة، وكأنه لم يسمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسـلم "

1 - سورة التوبة آية: 103.

2 - سورة النور آية: 30.

من فاتته صلاة العصر فكأنما وتـر أهلـه ومـاله " [3] (أي: كأنمـا فقد أهله وماله وهلكوا).

4- أنه يجد لذة في العبادة كثر من لـذة الطعـام والشـراب [فهل يجد أحدنا لذة في العبادة،؟!] أو يجد اللذة إذا خرج منها؟!.

5- أنه إذا دخل في الصلاة ذهب غمه وهمـه فـي الـدنيا [ونحـن لا تجتمع الأمور والأعمال علينا إلا في الصلاة، حتى قال لي أحد الأخوة: إنه رأى رجلا بعد أن دخل في الصلاة أخـرج فـاتورة للحسـاب، وأخـذ يراجع الحسابات -وهو فـي الصـلاة- إلـى قصـص كـثيرة تـبين ذهـاب الخشوع، والخضوع بين يدي الله في الصلاة.

فأين لذة الصلاة عند هؤلاء؟ وأين الصلاة التي كان الرسول، صلى الله عليه وسلم يقول فيها: " أرحنا بالصلاة يا بلال [1] " ويقول: " وجعلت قـرة عينـي فـي الصـلاة " [2] فـإن لسـان حال كثير من المصـلين "أرحنـا مـن الصـلاة" وتجـد أحـدهم لـو أطال الإمام القراءة، سرد عليه محفوظاته فـي الأحـاديث الـتي تـأمر برعايـة حـال المـأمومين، بينمـا لـو أخـل الإمـام بأدائهـا وواجباتها لم يجد من ينبهه -إلا ما شاء الله- والله المستعان.

6- أن يكون همه لله وفي ذات الله، وهذا مقام رفيع.

7- أن يكون أشح بـوقته أن يـذهب ضـائعا أشـهد مـن شـح البخيل بماله.

---

3 - رراه البخاري (2/ 30) ومسلم (1/ 436).

1 - رواه أحمد 5/364، 371) وأبو داود (19/ 223 بذل).

2 - رواه أحمد (3/ 128، 199، 185) والنسائي (7/ 61) وغيرهما.

8- أن يكـون اهتمـامه بتصـحيح العمـل أكـثر مـن اهتمـامه بالعمل ذاته [4] [وهذه نقطة مهمـة جـدا. فيجـب أن يكـون اهتمـام الإنسان بتصحيح العمل كبيرا في: تصحيح القصد، وتحقيـق المتابعـة، وتحقيق العبودية في العمل؛ فإن هذا هو الغاية من العمل.

فهـذه علامـات لسـلامة القلـب وصـحته، وإليـك -أخـي القـارئ- علامات شقاوته وعلته.

4 - انظر رسالة مرض القلب وصحته.

علامات مرض القلب وشقاوته

حيث ذكر ابن القيم من علامات مرضه جملة، منها:

1- أنه لا تؤلمه جراحات القبائح.

فهل نتألم نحن لجراحات قلوبنا، وما نقترفه من معاص وآثـام فـي الليل والنهار؟

وهل نندم ونعزم على التوبة كلما أذنبنا؟

وهل آلمنا ما نراه في مجتمعنا من معاص ومنكرات؟

وهل عملنا على تغييرها ما استطعنا، وهذا أمـر -لا شـك- عظيـم-؛ فإن القلب الذي لا يعرف معروفا ولا ينكر منكـرا فـي نفسـه ولا فـي مجتمعه قلب يحتاج صاحبه إلى تدارك نفسه قبل فوات الأوان.

2- أنه يجـد لـذة فـي المعصـية، وراحـة بعـد عملهـا [وإنمـا حـال المؤمن إذا عصـى اللـه أن ينـدم ويسـتغفر ويتحسـر علـى مـا فـات، ويسارع في التوبة إلى الله].

وهنـاك مـن النـاس -للأسـف- مـن ينطبـق عليـه كلام ابـن القيـم، فبعض مشاهدي الأفلام نجده يجد لذة في مشاهدتها، ولا تكاد تفارقه تلك اللذة لمدة طويلة.

وكذلك نجد من متـابعي المباريـات مـن يجـد لـذة فـي مشـاهدتها وحضورها، ولا تفارقه النشوة لفترة -خاصة إذا فاز فريقه- فهل نعـي بعد ذلك خطورة هذا الأمر؟

3- أنه يقدم الأدنـى علـى الأعلـى، ويهتـم بـالتوافه علـى حسـاب معالي الأمور [فماذا نقول عن بعض المسـلمين ممـن أصـبح لا يهتـم

بحال إخوانه وشئون أمته، بينما يعرف من التوافه أكثر مما يعرف عن أمور دينه، وأخبار علماء الإسلام وأئمته].

وكم يتأسف الإنسان على أموال كثير من شبابنا ممن أغرم بحب الرياضة والفن، ويهتم لها ويحزن ويغتم، أكثر مما يهتم لقضايا إخوانه في: أفغانستان، فلسطين، الفلبين، أريتريا... الخ. فهل هذا قلبه سليم؟ بل نقول لهذا: أدرك قلبك فهو على شفا هلكة.

4- أنه يكره الحق ويضيق صدره به، وهذا بداية طريق النفاق، بل غايته.

5- أنه يجد وحشة من الصالحين، ويأنس بالعصاة والمذنبين [فتجد من الناس من لا يطيق الجلوس مع الصالحين، ولا يأنس بهم؛ بل يستهزئ بهم ومجالسهم، ولا ينشرح صدره إلا في مجالسة أهل السوء وأرباب المنكرات، ولا شك أن هذا دليل على ما في قلب صاحبه من فساد ومرض].

6- قبوله الشبهة، وتأثره بها، وحبه للجدل، وعزوفه عن قراءة القرآن.

7- الخوف من غير الله، ولذلك يقول الإمام أحمد: لو صححت قلبك لم تخف أحدا، [وهذا العز بن عبد السلام يتقدم أمام أحد الملوك الطغاة، ويتكلم عليه بكلام شديد، فلما مضى قال له الناس: أما خفت يا إمام، فقال: تصورت عظمة الله، فأصبح عندي كالهر، والآن نرى من الناس من يخاف من: المسئول، الضابط وغيرهما أكثر من +خوفه من الله، وهذا لا شك دخن في قلب صاحبه، والعاقل خصيم نفسه].

8- وجود العشق في قلبه، قال شيخ الإسلام: وما يبتلى بالعشـق أحـد إلا لنقـص توحيـده وإيمـانه، وإلا فـالقلب المنيـب فيـه صـارفان يصرفانه عن العشق، إنابته إلى الله ومحبته له، وخوفه من الله.

9- أنه لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا ولا يتأثر بموعظة.

خـاتمة

لئن كنت قد أطلت في عرض هذا الموضـوع، فمـرد ذلـك إلـى أن يستأثر باهتمامكم، فالله الله في قلوبكم، بـالرفق بهـا وحملهـا علـى الخير، والعناية بها أو منعها وحمايتها مما يضرها.

وكم يصاب الإنسان بالحزن عندما يعلم أنه مصاب بمـرض حسـي في قلبه، فهل حزنا مثـل ذلـك مـن جراحـات القلـب وأمراضـه، مـن المعـاصي والآثام، من الامتحان الذي يعرض على قلوبنا صباح مساء.

فلنتق الله في قلوبنا. ففـي صـلاحه النجـاة (يَـوْمَ لا يَنْفَـعُ مَـالٌ وَلا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)[1] [سـورة الشـعراء، الآيتـان: 88-89].

هل راقبنا الله فيما انتشر من الذنوب مـن: أكـل الربـا، والمعاونـة عليه، وأخذ الرشوة وإعطائها، ومن الولوغ في أعراض الناس بالغيبة والنميمة، في ذنوب لا يحصيها محص ولا يعدها عاد؟

ولنرحم هـذه القلـوب، ولنحملهـا علـى طاعــة الله بإكثـار قـراءة القرآن ومدارسته، وكثرة النوافل والعبادات، وكـثرة الصـدقة، وذكـر الله حتى نلقى الله بقلوب سليمة مخبتة أواهـة أوابـة، وأكـرر التحذير من انشغـال كثير مـن النـاس بقلـوب إخـوانهم غـافلين عن قلوبهم، فالنجاة النجاة.

اللهم إنا نسـألك الثبـات فـي الأمـر، والعزيمـة علـى الرشـد، ونسألك شـكر نعمتـك، وحسـن عبادتـك، ونسـألك مـن خيـر مـا

1 - سورة الشعراء آية: 88-89.

تعلم، ونعوذ بك من شر ما تعلم ونستغفرك لما لا نعلم، اللهـم إنا نسألك قلبا سليما، ولسانا صادقا.

وصـلى اللـه وسـلم علـى نبينـا محمـد، وعلـى آلـه وصـحبه أجمعين.